

محاضرة 1: التطور التاريخي للإرشاد والصحة النفسية

المادة : إرشاد وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة

المرحلة : الثالثة

القسم : الرياضيات – كلية التربية الأساسية

الموضوع : التطور التاريخي للإرشاد والصحة النفسية

المدة : ساعتان

أهداف المحاضرة

يتوقع من الطالب بعد دراسة هذه المحاضرة أن يكون قادرًا على:

1. تعريف الإرشاد النفسي والصحة النفسية.
2. توضيح المراحل التاريخية التي مر بها مفهوم الصحة النفسية.
3. بيان إسهامات الحضارات القديمة والإسلامية في رعاية الإنسان نفسيًا.
4. التعرف على نشأة الإرشاد المهني والمدرسي.
5. تحديد أبرز الشخصيات التي أسهمت في تطور الإرشاد النفسي.
6. توضيح أثر المدارس النفسية في تطور الإرشاد.
7. بيان الاتجاهات الحديثة في الصحة النفسية والإرشاد.

أولاً: مقدمة

لم يظهر الإرشاد النفسي والصحة النفسية بصورتها العلمية الحديثة بصورة مفاجئة، وإنما كانا نتيجة تطور تاريخي طويل في نظرة الإنسان إلى النفس والسلوك والمرض النفسي. فقد انتقل التفكير تدريجياً من تفسير الاضطرابات النفسية تفسيراً غيبياً وخرافياً إلى تفسيرها تفسيراً طبياً ونفسياً واجتماعياً أكثر اعتماداً على الملاحظة والدراسة العلمية.

كما انتقل الاهتمام من مجرد علاج المرض النفسي بعد حدوثه إلى الاهتمام بالوقاية، وتعزيز الصحة النفسية، وتحقيق التوافق والنمو، ومساعدة الفرد على مواجهة مشكلات الحياة.

وفي العصر الحديث أصبحت الصحة النفسية جزءاً أساسياً من الصحة العامة، وتؤكد منظمة الصحة العالمية أن الصحة النفسية ليست مجرد غياب الاضطرابات النفسية، وإنما هي حالة من الرفاه النفسي تمكن الفرد من التعامل مع ضغوط الحياة وتحقيق قدراته والتعلم والعمل والإسهام في مجتمع.

ثانياً: مفهوم الإرشاد النفسي

الإرشاد النفسي عملية مهنية منظمة تهدف إلى مساعدة الفرد على فهم ذاته وإمكاناته ومشكلاته، واتخاذ قرارات مناسبة، وتحقيق التوافق والنمو النفسي والاجتماعي والتعليمي والمهني.

ولا يعني الإرشاد أن يتخذ المرشد القرارات نيابة عن المسترشد، بل يساعده على فهم نفسه ومشكلته، والتعرف على البدائل المتاحة، والوصول إلى القرار المناسب.

ومن أهم خصائص الإرشاد النفسي :

- أنه عملية إنسانية ومهنية.
- يقوم على علاقة مهنية بين المرشد والمسترشد.
- يراعي الفروق الفردية.
- يحترم شخصية المسترشد وكرامته.
- يعتمد على السرية.
- يستند إلى أسس علمية ونفسية.
- يهتم بالوقاية والنمو إلى جانب معالجة المشكلات.

ثالثاً: مفهوم الصحة النفسية

الصحة النفسية مفهوم أوسع من مجرد خلو الإنسان من المرض النفسي؛ فهي تتضمن قدرة الفرد على التعامل مع متطلبات الحياة، والاستفادة من إمكانياته، وإقامة علاقات متوازنة، والتعامل مع الضغوط بطريقة مناسبة.

وتشير منظمة الصحة العالمية إلى أن الصحة النفسية تتأثر بمجموعة متداخلة من العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية والبيئية والبنائية، ولذلك فإن فهمها لا يمكن أن يعتمد على عامل واحد فقط. ومن أهم مظاهر الصحة النفسية:

1. الشعور بالأمن والطمأنينة.
2. تقبل الذات.
3. القدرة على ضبط الانفعالات.
4. تكوين علاقات اجتماعية سليمة.
5. القدرة على مواجهة المشكلات.
6. تحمل المسؤولية.
7. الواقعية في التفكير.
8. القدرة على اتخاذ القرارات.
9. تحقيق قدر مناسب من التوافق النفسي والاجتماعي.

رابعاً: التطور التاريخي للصحة النفسية

1. المرحلة القديمة

في المجتمعات القديمة كانت الاضطرابات النفسية تفسر غالباً بطريقة تختلف عن التفسير العلمي الحديث؛ فقد ارتبطت في بعض المجتمعات بالسحر والأرواح والقوى الخارقة.

وبسبب هذه النظرة كان الأشخاص الذين يعانون اضطرابات سلوكية أو نفسية يتعرضون أحياناً للعزل أو العقاب بدلاً من العلاج والرعاية. لكن ظهور التفكير الفلسفي والطبي ساعد تدريجياً على تغيير هذه النظرة.

أبقراط : يُعد أبقراط Hippocrates من الشخصيات المهمة في تاريخ التفكير الطبي والنفسي؛ فقد أسهم في تفسير المرض بعيداً عن بعض التفسيرات الخارقة، وربط الحالات المرضية بعوامل طبيعية وجسمية.

ويمثل هذا الاتجاه خطوة مهمة نحو التعامل مع المشكلات النفسية بوصفها موضوعاً يمكن فهمه ودراسته.

2. المرحلة اليونانية والفلسفية

اهتم عدد من الفلاسفة اليونانيين بالإنسان وطبيعة النفس والسلوك. وقد أسهم التفكير الفلسفي في طرح أسئلة حول:

- طبيعة النفس.
- علاقة الجسم بالنفس.
- التفكير والانفعالات.
- الإرادة.
- الأخلاق والسلوك.

وعلى الرغم من أن هذه التفسيرات لم تكن علم النفس الحديث، فإنها شكلت أساساً فكرياً مهماً للتطور اللاحق في دراسة الإنسان.

خامساً: إسهامات الحضارة الإسلامية

احتل الإنسان والنفس مكانة مهمة في الفكر الإسلامي، واهتم العلماء المسلمون بالإنسان من جوانبه الجسمية والنفسية والعقلية والروحية والاجتماعية. ومن أبرز العلماء الذين تناولوا موضوعات النفس والسلوك :

1. أبو بكر الرازي : اهتم بالعلاقة بين الجوانب الجسمية والنفسية، وأكد أهمية التعامل مع الإنسان بصورة تراعي حالته النفسية.
2. ابن سينا : تناول موضوعات تتصل بالنفس والانفعالات وعلاقة النفس بالجسم، وأشار إلى تأثير العوامل النفسية والانفعالية في حالة الإنسان.
3. أبو حامد الغزالي : ناقش جوانب متعددة من النفس الإنسانية، مثل الدوافع والانفعالات وتكوين الشخصية وتهذيب السلوك.

وقد شهدت الحضارة الإسلامية كذلك اهتماماً برعاية المرضى النفسيين، وظهرت مؤسسات للرعاية والعلاج، وهو ما يمثل جانباً مهماً في تاريخ التعامل الإنساني مع الاضطرابات النفسية.

سادساً: العصور الوسطى وعصر النهضة

خلال أجزاء من العصور الوسطى الأوروبية استمرت بعض التفسيرات غير العلمية للاضطرابات النفسية، وكان المرض النفسي يُفسر أحياناً بالخرافة أو القوى الخارقة.

لكن هذه النظرة بدأت تتغير تدريجياً مع ظهور عصر النهضة وتطور العلوم والطب والفلسفة. وأدى الاهتمام بالإنسان والعقل والملاحظة العلمية إلى بداية تحول مهم في فهم السلوك والاضطرابات النفسية. ومع تطور الطب بدأت تظهر محاولات لتحسين ظروف المرضى النفسيين بدلاً من التعامل معهم بالعزل والعقاب.

سابعاً: القرن التاسع عشر وتطور رعاية المرضى النفسيين

شهد القرن التاسع عشر تطوراً مهماً في المؤسسات التي تقدم الرعاية للأشخاص الذين يعانون اضطرابات نفسية.

ومن الشخصيات البارزة في هذا المجال **Dorothea Dix** التي عُرِفَتْ بجهودها في الدفاع عن تحسين ظروف الأشخاص الموجودين في المؤسسات والمصحات النفسية. وفي هذه المرحلة بدأ الاهتمام يتحول من مجرد عزل المريض إلى توفير بيئة أكثر إنسانية ورعاية منظمة. كما شهد القرن التاسع عشر تطوراً في العلوم العصبية والفسولوجية، الأمر الذي ساعد على بناء الأساس العلمي لدراسة السلوك والعمليات النفسية.

ثامناً: ظهور علم النفس الحديث

يمثل عام **1879** محطة مهمة في تاريخ علم النفس؛ ففي هذا العام أنشأ **Wilhelm Wundt** مختبراً لعلم النفس في جامعة لايبزيغ بألمانيا.

وقد ارتبط ذلك بانتقال دراسة الظواهر النفسية بصورة أكبر من المجال الفلسفي إلى مجال الدراسة العلمية والتجريبية.

ومع تطور علم النفس ظهرت مدارس متعددة، مثل:

- المدرسة التحليلية.
- المدرسة السلوكية.
- المدرسة الجشطالتيّة.
- المدرسة الإنسانية.
- الاتجاه المعرفي.

وقد أثرت هذه المدارس بصورة مباشرة أو غير مباشرة في أساليب الإرشاد والعلاج النفسي.

تاسعاً: نشأة الإرشاد النفسي والمهني

يُعد مطلع القرن العشرين مرحلة أساسية في ظهور الإرشاد بصورته المهنية. ومن أبرز الشخصيات في هذا المجال **فرانك بارسونز Frank Parsons** ، الذي ارتبط اسمه بنشأة الإرشاد المهني.

ففي عام **1908** أسس بارسونز مكتب الإرشاد المهني في بوسطن، وركز على مساعدة الأفراد في اختيار المهنة المناسبة من خلال التعرف على قدراتهم وميولهم، وفهم خصائص المهن، ثم تحقيق التوافق بين خصائص الفرد ومتطلبات العمل .

وفي عام **1909** صدر كتابه المعروف *Choosing a Vocation*، الذي أسهم في ترسيخ الأسس الأولى للإرشاد المهني .

وهكذا كان الإرشاد في بدايته مرتبطاً بدرجة كبيرة بالمجال المهني واختيار المهنة، ثم توسع لاحقاً ليشمل الجوانب التعليمية والنفسية والاجتماعية.

عاشراً: تطور الإرشاد المدرسي

انتقل الإرشاد تدريجياً إلى المدارس، وأصبح يهتم بمساعدة الطلبة في عدد من المجالات. وفي بداياته ركز على مساعدة الطالب في الانتقال من المدرسة إلى العمل واختيار المهنة، ثم توسع ليشمل:

- الإرشاد التعليمي.
- الإرشاد المهني.
- الإرشاد النفسي.
- الإرشاد الاجتماعي.
- مساعدة الطلبة في حل المشكلات.
- تحقيق التوافق المدرسي.
- اكتشاف القدرات والميول.

وقد تطورت خدمات الإرشاد في المدارس الأمريكية بصورة واضحة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وانتقلت من مفهوم محدود يركز على الاختيار المهني إلى خدمات أكثر شمولاً تهتم بحياة الطالب الشخصية والتعليمية والمهنية .

الحادي عشر: أثر المدارس النفسية في تطور الإرشاد

1. المدرسة التحليلية

ارتبطت بصورة أساسية بـ **سيغموند فرويد. Sigmund Freud**

ركز التحليل النفسي على أهمية العمليات اللاشعورية والخبرات المبكرة والصراعات النفسية في تشكيل السلوك.

وقد أثر هذا الاتجاه في تطور أساليب العلاج والإرشاد النفسي.

2. المدرسة السلوكية

ركز الاتجاه السلوكي على السلوك القابل للملاحظة، وعلى دور التعلم والبيئة في تشكيل السلوك.

وقد استفاد الإرشاد من المبادئ السلوكية في:

- تعديل السلوك.
- اكتساب العادات الإيجابية.
- التخلص من بعض السلوكيات غير المرغوبة.

3. الاتجاه الإنساني

يُعد كارل روجرز **Carl Rogers** من أبرز رواده.

ركز روجرز على الإنسان وقدرته على النمو وتحقيق ذاته، وأعطى أهمية كبيرة للعلاقة الإرشادية القائمة على:

- التقبل.
- التعاطف.
- الفهم.
- الأصالة.
- احترام المسترشد.

وقد أسهم الاتجاه الإنساني في الانتقال من النظر إلى المسترشد بوصفه شخصاً يحتاج إلى إصلاح إلى النظر إليه بوصفه إنساناً يمتلك إمكانيات وقدرات يمكن تنميتها.

الثاني عشر: الإرشاد والصحة النفسية في العصر الحديث

شهد الإرشاد النفسي في العقود الأخيرة توسعاً كبيراً، فلم يعد مقتصرًا على علاج المشكلات بعد ظهورها، بل أصبح يهتم بـ:

الوقاية : منع المشكلات النفسية وتقليل عوامل الخطورة.

العلاج : مساعدة الأشخاص الذين يعانون مشكلات واضطرابات نفسية.

النمو : مساعدة الفرد على تنمية قدراته وتحقيق إمكانياته.

التوافق : مساعدة الفرد على تحقيق التوازن في علاقته بنفسه والآخرين والبيئة.

تعزيز الصحة النفسية : تنمية الجوانب الإيجابية في شخصية الفرد وقدرته على التعامل مع ضغوط الحياة.

وتؤكد منظمة الصحة العالمية في تقريرها العالمي للصحة النفسية لعام 2022 أهمية الانتقال من التركيز الضيق على علاج الاضطرابات إلى تعزيز الصحة النفسية والوقاية وتطوير خدمات الرعاية المجتمعية .

الثالث عشر: الإرشاد النفسي وذوو الاحتياجات الخاصة

تزداد أهمية الإرشاد النفسي في مجال ذوي الاحتياجات الخاصة بسبب ما قد يواجهه بعضهم من تحديات نفسية أو تعليمية أو اجتماعية.

ومن أهم مجالات الإرشاد المقدمة لهم:

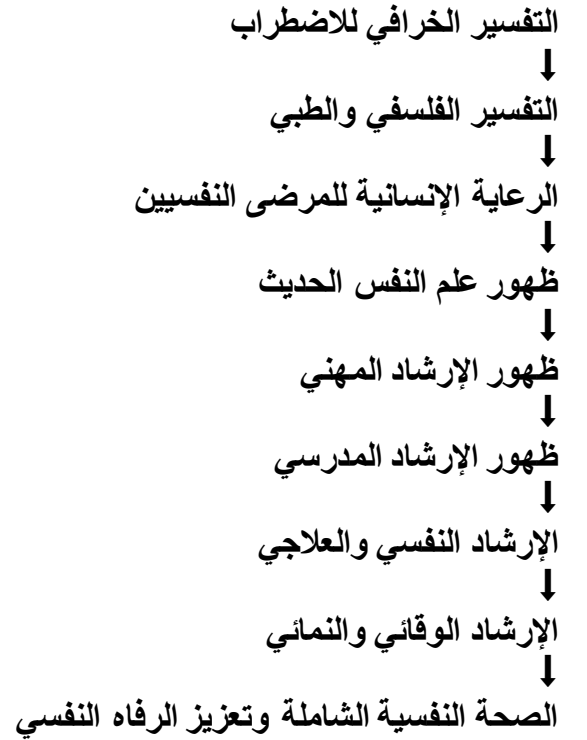
1. مساعدتهم على تقبل ذاتهم وقدراتهم.
2. تنمية الاستقلالية والاعتماد على النفس.
3. مساعدتهم على التكيف مع البيئة المدرسية.

4. تنمية العلاقات الاجتماعية.
5. التعامل مع المشكلات السلوكية.
6. مساعدة الأسرة على فهم احتياجات أبنائها.
7. التعاون بين المرشد والمعلم والأسرة والمتخصصين.
8. دعم الدمج التعليمي والاجتماعي.

وبذلك أصبح الإرشاد جزءاً مهماً من منظومة التربية الخاصة؛ لأنه لا يهتم بالتحصيل الدراسي وحده، وإنما بالطالب بوصفه شخصية متكاملة.

الرابع عشر: الاتجاه الحديث في الصحة النفسية

يمكن تلخيص التطور التاريخي للصحة النفسية والإرشاد في الانتقال عبر المراحل الآتية:



وهذا التطور يوضح أن الإرشاد الحديث لم يعد يقتصر على التعامل مع المشكلة بعد حدوثها، بل أصبح يهتم بالإنسان في مراحل نموه المختلفة وبجوانب حياته النفسية والتعليمية والاجتماعية والمهنية.

خلاصة المحاضرة

إن تاريخ الإرشاد والصحة النفسية يعكس تطور نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى المشكلات النفسية. فقد بدأت التفسيرات القديمة بصورة يغلب عليها الطابع الخرافي، ثم ظهرت تفسيرات فلسفية وطبية، وأسهمت الحضارة الإسلامية في الاهتمام بالنفس والإنسان ورعايته، ثم أدى تطور الطب وعلم النفس إلى ظهور اتجاهات علمية أكثر تنظيماً.

وفي بداية القرن العشرين ظهر الإرشاد المهني بصورة منظمة، وكان فرانك بارسونز من أبرز الشخصيات في هذا المجال، ثم انتقل الإرشاد إلى المدارس واتسع ليشمل الجوانب التعليمية والنفسية والاجتماعية والمهنية .

أما في الوقت الحاضر فأصبحت الصحة النفسية مفهوماً شاملاً يرتبط بقدرة الفرد على التكيف والنمو والعمل والتفاعل الإيجابي مع المجتمع، وأصبح الإرشاد وسيلة أساسية للوقاية والنمو والعلاج وتحقيق التوافق.

أسئلة للمناقشة

1. كيف تطور مفهوم الصحة النفسية عبر التاريخ؟
2. ما أبرز مظاهر التغير في تفسير الاضطرابات النفسية؟
3. ما إسهامات الحضارة الإسلامية في مجال النفس والصحة النفسية؟
4. لماذا يعد عام 1879 محطة مهمة في تاريخ علم النفس؟
5. ما إسهامات فرانك بارسونز في نشأة الإرشاد؟
6. كيف انتقل الإرشاد من المجال المهني إلى المجال المدرسي؟
7. ما أثر المدرسة السلوكية في الإرشاد النفسي؟
8. ما أهم أفكار الاتجاه الإنساني في الإرشاد؟
9. ما الفرق بين الاتجاه العلاجي والاتجاه الوقائي في الإرشاد؟
10. لماذا يعد الإرشاد مهماً لذوي الاحتياجات الخاصة؟

ملاحظة للطالب : المهم في دراسة هذا الموضوع هو فهم التسلسل التاريخي والتحول في النظرة إلى الإنسان :من تفسير المرض النفسي تفسيراً غيبياً، إلى التفسير العلمي، ثم إلى الإرشاد الذي يجمع بين الوقاية والعلاج والنمو وتحقيق التوافق والصحة النفسية.
